بشطِّيْ نهر داريّا أمورٌ ما تواتينا
أتانا مئتا ألفٍ عديداً أو يزيدونا
فداسوا المَرْجَ والغُوطـ ـة أيضاً والميادينا
ورايات وصُلْبانا على مسجد خاتونا
فقلنا إذْ رأيناهم لعلَّ الله يكفينا
وشيخاً فِنْدلاوياً فقيهاً يعضُدُ الدِّينا

ومنها:

ولكنْ غادروا القِسِّيْـ ـسَ تحتَ الأَرْضِ مدفونا

من أبيات[1].

وقال الحافظ ابن عساكر: وأقام مدة ببانياس خطيباً، وكان شيخاً كبيراً، ودرَّس بدمشق في حَلْقة المالكية، ولما قُتِلَ حُمِلَ] إلى الباب الصغير، فدفن به، وقبره من جانب المُصَلَّى قريباً من الحائط، وعليه بلاطةٌ منقورٌ فيها شَرْحُ حاله.

ورآه بعضُ أصحابه في المنام في تلك الليلة فقال: ما فعل الله بك؟ فقال: أنا في جنَّاتِ عَدْنٍ مع قومٍ على سُرُرٍ متقابلين.

السَّنة الرَّابعة والأربعون وخمس مئة

فيها في ربيع الأول استوزر المقتفي أبا المظفر يحيى بن محمد بن هُبيرة، عَوْنَ الدِّين، وخَلَعَ عليه.

وفي رجب عاد البقش، وجَمَعَ الجموع، وقَصَدَ العراق، وانضمَّ إليه ملك شاه بن محمود وعليُّ بنُ دُبَيْس، وخَلْقٌ من الأُمراء والتركمان، فلما بقي بينهم وبين بغداد ثلاثة فراسخ بعثوا إلى الخليفة يطلبون منه الخُطْبة لملك شاه، فلم يجبهم، ودوَّنَ العسكر، وحُفرت الخنادق، وبعث إلى أهل الجانب الغربي يأمرهم بالعبور إلى حريم الخلافة، وبعث ابنَ العَبَّادي إلى مسعود يستحثه ويعرِّفُه بما جرى، ويقول: عَجِّلْ بالمجيء.

(١) انظر الأبيات وغيرها في «كتاب الروضتين»: ١/ ١٩٢-١٩٣ مع اختلاف في بعض الألفاظ.

وبعث إليه عَمُّه سنجر يقول له: قد أخربت البلادَ، وقَتَلْتَ العباد في هوى ابن البلنكري، فأَبْعِدْه عنك، وإلا فما يكون جوابك غيري. فلم يلتفت، فرحل سنجر إلى الرَّي، وبعث يقول: قد جئتُ إليك. فسار مسعود جريدةً إلى الرَّي، فطيَّبَ قلبه، وخَلَعَ عليه، ولم يعاتبه في ابنِ البلنكري، وتأخَّر البقش عن بغداد، وجاء مسعود، فدخلها في ذي الحِجَّة، فخرج إليه الوزير ابنُ هُبيرة وأربابُ الدَّوْلة لتلقِّيه، فأحسنَ إليهم، وجاء عليُّ بنُ دُبَيْس، فرمى بنفسه على باب السُّلْطان، فرضي عنه.

و[فيها][1] خرج نَظَر الخادم ليحج بالنَّاس، فمرض بالكُوفة، فاستناب قيماز الأُرْجُواني، فلمَّا عاد نظر الخادم إلى بغداد توفي.

وفي ذي الحِجَّة زُلْزِلَتْ بغداد زَلْزَلَةً عظيمة، وبقيت الحيطان تموجُ عشرة مرات، وامتدَّت إلى حُلْوان، فتقطَّعَ جَبَلُها، وساخ في الأرض، وانهدمت أماكن، وهلك تحتها خَلْقٌ كثير.

وفيها جَمَعَ الفرنج من السَّاحل ليقصدوا بلد حلب، فسار إليهم نور الدين بعساكره، وجَمْعٍ كثيرٍ من التركمان، وكتب إلى [معين الدين][1] أُنَر يستنجده، فبعثَ إليه الأميرَ بُزان[2] في عساكر دمشق، وجاءته عساكر أخيه سيف الدِّين [غازي][1] والجزيرة، وسار إلى أَنطاكية، وخرج إليه البرنس[3]، فكانت بينهم وقعةٌ عظيمة كسرهم نورُ الدِّين الكسرة المشهورة[4]، وقَتَلَ من كنودهم ألفاً وخمس مئة وأَسر منهم مِثْلهم، وقُتل البرنس، وحُمل رأسه إلى نور الدين، فعاد إلى حلب بالغنائم العظيمة والأسارى، فبعث ببعضها إلى أخيه وإلى الخليفة وإلى دمشق وإلى الملوك، وفيها يقول ابنُ القَيْسراني: [من السريع]

---

(١) مابين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) هو مجاهد الدين بزان بن مامين، أحد مقدمي أمراء الأكراد، وتوفي سنة (٥٥٥هـ)، انظر ترجمته في «كتاب الروضتين»: ١/ ٣٨٧-٣٨٨.

(٣) هو ريموند Raymond of Poitou

(٤) هي وقعة إنِّب، انظر «الروضتين»: ١/ ٢٠٤-٢١٧.

وكَمْ لـه مِـنْ وَقْـعـةٍ يـومُـهـا عـنـد مـلـوك الـشِّـرْكِ مـشـهـودُ
حـتـى إذا عـادوا إلـى مِـثْـلـهـا قـالـت لـهـم هَـيْـبَـتُـهُ عُـودُوا
مـنـاقِـبُ لـم تـكُ مـوجـودةً إلا ونـورُ الـدِّيـنِ مـوجـودُ
وكـيـف لا نُـثـنـي عـلـى عَـيْـشـنـا الـ ـمـحـمـودِ والـسُّـلْـطـانُ مـحـمـودُ[1]

وفيها فتح نورُ الدِّين حِصن فامية، وكان على أهل حماة وحمص منه ضررٌ عظيم، كانوا يشنُّون الغاراتِ منه على البلاد.

وكان جوسلين[2] صاحب تل باشر، وأَعْزاز، وعين تاب، والرَّاوندان، ورَعْبان وكَفْرسود، وكَيْسون، وبَهَسْنى، والبارة، ومَرْعَش، وكَفْرلاثا، وحصن منصور، وغيرها من الحصون شمالي حلب، وكان على المسلمين منه بلاءٌ عظيم، فجهَّز إليه نورُ الدين سِلَحْداره، وظهر عليهم جوسلين، وأَسَرَ السِّلَحْدار، وبعثَ به هديةً إلى صاحب الرُّوم ابن قَلِيْج رسلان[3]، وقال: نفَّذتُ إليك سِلَحْدار صهرك، وسأبعث إليك بعد هذا غيره. وكان نور الدين قد صاهر ابن قليج رسلان، وبلغ نورَ الدِّين قولُه، فعزَّ عليه، فدسَّ جماعةً من التركمان وقال: من قدر منكم على جوسلين أعطيته من الأموال والبلاد مهما أراد. فجاءت طائفةٌ منهم فنزلوا في بلد عين تاب، وخرج جوسلين ليغار عليهم، فاستحسن منهم امرأة، فخلا بها تحت شجرةٍ، وكَمَنَ له التركمان، فأخذوه أسيراً، وكان نور الدين بحِمْص، فحملوه إليه، فأعطى من جاء به عشرة آلاف دينار، وكان أَسْرُهُ مِنْ أعظمِ الفتوح في الإسلام، لأنَّه كان شجاعاً مقداماً غَدَّاراً، [غدر غير مرة بالمسلمين][4] ولما حصل بيد نور الدين أخذ منه جميعَ ما ذكرنا من القلاع والبلاد بعد ذلك، وأَمِنَ النَّاسُ شرَّه.

---

(١) انظر بعض أبيات القصيدة في «كتاب الروضتين»: ١/ ١٩٩-٢٠٠

(٢) أورد ابن الأثير في «كامله»: ١١/ ١٥٤ أسر جوسلين في حوادث سنة (٥٤٦هـ)، وساقه أبو شامة في «الروضتين»: ١/ ٢٤٦-٢٤٧ في حوادث سنة (٥٤٥هـ).

(٣) هو السلطان مسعود بن قليج رسلان السلجوقي ركن الدين، تولى السلطنة ما بين السنة (٥١٠-٥٥١هـ)، انظر «معجم الأنساب» لزامباور: ٢١٥.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

فصل وفيها توفي

أحمد بن الحسن بن علي[١]

ابن إسحاق، أبو نَصر بن نظام المُلْك.

وَزَرَ للمسترشد، ثم عُزِلَ على أحسن الوجوه، ووزر للسُّلْطان محمد شاه، وتقلَّبت به الأحوالُ والدُّول، فرأى لزوم منزله، فلزمه إلى أن مات في ذي الحِجَّة ببغداد، وكان فاضلاً عاقلاً، سمِعَ الحديث من جماعة.

الحسن بن مسعود بن علي[٢]

أبو علي الخُوارَزْمي.

جدُّه وزير تاج الدولة تُتُش، وتوفي بمَرْو في المحرَّم، ومن شعره: [من الطويل]

أَخِلايَ إنْ أصبحتُمُ في دياركمْ ... فإنِّي بمرو الشَّاهجان غريبُ

أموتُ اشتياقاً ثم أحيا بذكركُمْ ... وبين التَّراقي والفؤاد لهيبُ

فما عَجَبٌ موتُ الغريبِ صَبابةً ... ولكنْ بقاهُ في الحياةِ عجيبُ[٣]

أحمد بن محمد بن الحسين[٤]

أبو بكر الأَرَّجاني، قاضي تُسْتَر، وأَرَّجان بَلَدُه، منها سافر إلى العراق والشَّام ومِصر، وسمع الحديث، وتفقَّه بالنِّظامية، ومدح المُسْتظهر.

---

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ١٣٨-١٣٩ ، و«الكامل»: ١١/ ١٤٧ ، و«الفخري»: ٣٠٦ ، و«الوافي بالوفيات»: ٦/ ٣٢١ ، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٢٣٦ .

(٢) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر»: ٤/ ٥٩٩ ، و«خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ١/ ٢٨٤-٢٨٥ ، و«معجم البلدان»: ٥/ ١١٤ ، و«ميزان الاعتدال»: ١/ ٥٢٣، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ١٧٧ ، و«الوافي بالوفيات»: ١٢/ ٢٦٩-٢٧٠ ، و«والجواهر المضية»: ٢/ ٩١ ، و«لسان الميزان»: ٢/ ٢٥٦ ، وعندهم وفاته سنة (٥٤٣هـ).

(٣) الأبيات في «تاريخ ابن عساكر»، و«الخريدة» ، و«معجم البلدان»، وفيه: وبين التراقي والضلوع لهيبُ.

(٤) له ترجمة في «الأنساب»: ١/ ١٧٤ ، و«المنتظم»: ١٠/ ١٣٩-١٤٠ . و«معجم البلدان»: ١/ ١٤٤ ، و«الكامل»: ١١/ ١٤٧ ، و«وفيات الأعيان»: ١/ ١٥١-١٥٥ ، و«الوافي بالوفيات»: ٧/ ٣٧٣-٣٧٨ ، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٢١٠-٢١١ ، وفيه تتمة مصادر ترجمته. =

وكان شاعراً فصيحاً بليغاً مفوَّهاً، له المعاني الفائقة، والألفاظ الرَّائقة، وكانت وفاته بتُسْتر، فمن شعره: [من الطويل]

ولـمَّـا بـلـوتُ الـنَّـاسَ أَطْـلُـبُ مـنـهُـمُ ... أخـا ثِـقَـةٍ عـنـد اعـتـراضِ الـشَّـدائِـدِ
تـحـيَّـرْتُ فـي حـالـي رخـاءً وشِـدَّةً ... ونـاديـتُ في الأَعداء: هل مِنْ مُساعِدِ
فـلـم أَرَ فـيـمـا سـاءَنـي غـيـرَ شـامـتٍ ... ولـم أَرَ فـيـمـا سَـرَّنـي غـيـر حَـاسـدِ
تَـمَـتَّـعْـتُـمـا يـا نـاظـريَّ بـنـظـرةٍ ... وأَوْرَدْتُـمـا قـلـبـي أَمـرَّ الـمـوارِدِ
أَعَـيْـنَـيَّ كُـفَّـا عـن فـؤادي فـإنَّـه ... من البغي سَعْيُ اثنين في قَتْلِ واحدِ[1]

وقال أيضاً: [من الطويل]

أراقِبُ من طَيْفِ النُّخَيْلَةِ مَوْعِدا ... وهـانَ عـلـيـهـا أَنْ أبـيـتَ مُـسَـهَّـدا
أبى اللَّيْلُ إسعادي[2] وقد طال جُنْحُهُ ... فـمـا هدأَتْ عَيْني ولا طَيْفُها اهتدى
إذا رُمْـتُـمُ قَـتْـلـي وأنـتـمْ أَحِـبَّـةٌ ... فـمـاذا الـذي أخـشـى إذا كـنـتُـمُ أعـدا
وأُضْـمِـرُ في الأَحْشاءِ منكم تحرُّقاً ... وأُظْـهِـرُ لـلـواشـيـنَ عـنـكـمْ تـجـلُّـدا
وأمنعُ عيني اليومَ أَنْ تُكْثِرَ البكا ... لِـتَـسْـلَـمَ لـي حـتَّـى أراكُـمْ بـهـا غـدا[3]

وقال أيضاً: [من الطويل]

إذا أنـتَ سُـدْتَ الـنَّـاس فـي ظِـلِّ دولـةٍ ... وأَوْرَقَ مـنـهـا بـالـمُـنـى لـك عُـوْدُ
فَـبِـتْ سـاهـراً واملأْ عـيـونَـهُـمُ كَـرى ... إذا شِـئْـتَ أَنْ تـحـيـا وأنـتَ حـمـيـدُ
ومـا الـمـالُ إلاّ لـلـمـعـالـي ذريـعـةٌ ... ولا الـذِّكْـرُ إلاَّ لـلـكـرام خُـلُـودُ
عُـلاكَ سـوارٌ والـمـمـالـكُ مِـعْـصَـمٌ ... وجُـودُك طَـوقٌ والـبَـرِيَّـةُ جِـيْـدُ
بـقـيـتَ ولا أبـقـي الـرَّدى لـكَ حـاسـداً ... فـإنَّـكَ فـي هـذا الـزَّمـانِ فـريـدُ[4]

= وأرجان ـ بتخفيف الراء وتثقيلها ـ هي من كور الأهواز من بلاد خوزستان، وقد طبع ديوانه في بيروت أوائل هذا القرن، ثم حققه د.محمد قاسم مصطفى، ونشرته وزارة الثقافة والإعلام في الجمهورية العراقية سنة (١٩٨١) في ثلاثة أجزاء.

(١) ديوانه ص٨٦ .

(٢) الإسعاد: المشاركة في النياحة، انظر «اللسان» (سعد).

(٣) ديوانه: ص٩٧ .

(٤) ديوانه: ص١٠٥-١٠٦ ، وهذه الإحالات الثلاث على طبعة بيروت ١٨٩٠م مع اختلاف في بعض الألفاظ.

وقال يذُمّ مِصر: [من الوافر]

تَرَكْنا أَرْضَ مِصرَ لكلِّ فَدْمٍ[1] ... له باعٌ يُقَصِّرُ عن ذِراعِ
نفوسٌ لا تليقُ بها المعالي ... وأخلاقٌ تضيق عن المساعي
إذا غَلِطُوا بإحسانٍ تَلَتْهُ ... عِدادٌ من إساءاتٍ تِباعِ
أقمتُ بها ومن نَكَدِ اللَّيالي ... مقام الأُسْدِ في كَنَفِ الضِّباعِ
وكم خَلَّفْتُ من كَرَمٍ مُهانٍ ... بعَرْصتها ومن لُؤْمٍ مُطاعِ
ومن مالٍ مَصُونِ العِرْض تحمى ... جوانِبُهُ ومن عِرْضٍ مُضَاعِ
وأَجسامٍ مُسَمَّنةٍ شِباعٍ ... وأعراضٍ مضمَّرةٍ جياعِ
ونَقْصٍ في أكابرها خصِيصٍ ... وجَهْلٍ في أصاغرها مُشاعِ
أإنْ بانَتْ سرائِرُكُمْ وكانت ... مساويكم تقامُ على بِقاعِ
جعلْتُمْ دينَنا أَنَّا سَمِعْنا ... وما الأُذنان إلا للسَّماعِ[2]

وقال: [من الطويل]

أقولُ لظبيٍّ مرَّ بي وهو راتِعٌ ... أأنتَ أخو ليلى فقال يُقالُ
فقلتُ يُقال المُسْتقِلُّ من الهوى ... إذا مَسَّه ضُرٌّ فقال يُقالُ[3]

وقال أيضاً من شعره: [من البسيط]

حيثُ انتهَيْت من الهِجْران بي فَقِفِ ... ومن وراءِ دمي بِيْضُ الظُّبى فخَفِ
يا عابثاً بعِداتِ الوَصلِ يُخْلِفُها ... حتى إذا جاء ميعادُ الفِراقِ يفي
يستوصفونَ لساني عن محبَّتهم ... وأنتَ أصدقُ يا دمعي لهم فَصِفِ
ليست دموعي لنارِ الشَّوقِ مُطْفِئَةً ... وكيف، والماءُ بادٍ والحريقُ خفي
لم أنسَ يومَ رحيلِ الحيِّ موقِفَنا ... والعيسُ تَطْلُعُ أُولاها على شَرَفِ
والعَيْنُ من لَفْتة الغَيْران مالَحِظَتْ ... والدَّمْعُ من رِقْبة الواشينَ لم يَكِفِ
وفي الحُدوجِ الغواني كلُّ آنسةٍ ... إنْ ينكشفْ سِجْفُها للشَّمْسِ تنكسِفِ

(١) الفدم: الغليظ الأحمق الجافي، «معجم متن اللغة»: ٤/ ٣٧٢.
(٢) لم أجد الأبيات في «ديوانه».
(٣) لم أجد البيتين في «ديوانه».

فـي ذِمَّـةِ الـلـهِ ذاكَ الـرَّكْـبُ إنَّـهُـمُ ... ساروا وفيهم حياةُ المُغْرمِ الدَّنِفِ
فإنْ أعِشْ بعدهُمْ فَرْداً فيا حَزَني ... وإنْ أَمُتْ هكذا شَوقاً فيا أَسَفي[1]

وقال أيضاً: [من البسيط]

هُمْ نازلون بقلبي أيَّةً سلكوا ... لو أَنَّهمْ رفَقُوا يوماً بما ملكوا
ساقوا فؤادي وأبقَوْا في الحشا حُرَقاً ... لله ما أخذوا[2] مني وما تركوا
إذا الصَّبا سَحَبَتْ أذيالها سَحَراً ... حَسِبْتَ مِسْكاً على الآفاق يَنْفَرِكُ
قد أَشْعَلَ الشَّيْبُ رأسي للبلا عَجِلاً ... والشَّمْعُ عند اشتعالِ الرأس ينسبكُ
فإنْ يكنْ راعها مِنْ لونه يَقَقٌ[3] ... فطالما راقها مِنْ قَبْلها حَلَكُ
حتى متى وإلى كَمْ يا زمانُ أرى ... منك الخطوبَ بجَنْبي وهي تَنْعَرِكُ
أبعدَ عَدْلِ نظامِ المُلْك تحمِلُ لي ... ذَحْلاً وخَلْفَك منه ثائِرٌ مَحِكُ

ثم خاطب أعداءه، فقال:

يا مُتْعِباً نَفْسَه في أَنْ يُساجِلَهُ ... أين السِّماكُ إذا قايستَ والسَّمَكُ
دَعُوا الوِزَارة عنكُمْ تربحوا نَصَباً ... فالحَبلُ في الدُّرِّ مما ليس ينسلكُ
ورِثْتُمُ يا بني إسحاق مَنْصِبَها ... فما لغيركُمُ في إرْثكُمْ شَرَكُ
أنتمْ فرازين هذاالدَّسْتِ نعلمكُمْ ... وهمْ بياذقُه إنْ صُفَّ مُعْتَرَكُ
فما تَفَرْزَنَ منهمْ بيذقٌ أبداً ... إلا غدا رَأْسُه في التُّرْبِ يَنْمَعِكُ
في دَسْته قمرٌ في دِرْعِهِ أَسَدٌ ... في حَفْله[4] مَلِكٌ في سرِّه مَلَكُ
إذا عَدَدْنا سِنيه فَهْو مُقْتبِلٌ ... وإن ذكرنا حِجاه فهو مُحْتَنِكُ
اليوم عاشَ نظامُ المُلْكِ ثانية ... وكم معاشِرَ عاشوا بعدما هلكوا[5]

(١) القصيدة بتمامها في «ديوانه»: ٣/ ٩٤٠-٩٤٧.
(٢) في (ع) و(ح): حزني لما أخذوا.. والمثبت من «ديوانه».
(٣) اليقق: الشديد البياض الناصعه. «معجم متن اللغة»: ٥/ ٨٣٨.
(٤) في (ع)و (ح): خلقه، والمثبت من ديوانه.
(٥) القصيدة بتمامها مع اختلاف في بعض الألفاظ في «ديوانه»: ٣/ ١٠٢٢-١٠٣٢.

وقال أيضاً من شعره: [من الوافر]

جَعَلْتُ طليعتي طَرْفي سَفاها ... فدلَّ على مقاتليَ الخفايا
وهل يُحمى حريمٌ من عدوٍّ ... إذا ما الجيشُ خانته الرَّبايا[1]
ولي نَفَسٌ إذا ما اشتدَّ شوقاً ... أطار القَلْبَ من حُرَقٍ شظايا
ودَمْعٌ يَنْصُر الواشينَ ظُلْماً ... فَيُظْهِر من سرائريَ الخبايا
ومُحْتَكِمٍ على العُشَّاقِ جُوْراً ... وأين من الدُّمى عَدْلُ القضايا
يُريكَ بوَجْنَتَيْه الوَرْدَ غَضًّا ... ونورَ الأُقحوانِ من الثَّنايا
تأمَّلْ منه تحت الصُّدْغ خالاً ... لتعلمَ كَمْ خبايا في الزَّوايا
خَطَبْتُ نوالَه الممنوعَ حتَّى ... أثرتُ به على نَفْسي البلايا
فأَرَّقَ مُقْلتي شَوقاً ووَجْداً ... وأقلق مُهْجَتي هَجْراً ونايا[2]

وهذه الأبيات وازن بها أبزون العماني[3]:

نقود وعُودِها صارت نسايا ... وعاد نَوَالها الميسور وايا
إذا أَنْشَدْتُ في التَّعريضِ بَيْتاً ... تلتْ من سورةِ الإعراض آيا
وَرُبَّ قطيعةٍ جَلَبَتْ وِصالاً ... وكَمْ في الحبِّ من نُكَتٍ خفايا[4]
شكَتْ وجَدْاً إليَّ فآنَستْني ... وبعضُ الأُنْسِ في بعضِ الشَّكايا
فلا ملَّتْ معاتبتي فإنِّي ... أَعُدُّ عِتابَها بعضَ العطايا
وليلةَ أَقْبَلَتْ في القَصر سَكْرى ... تهادَى بين أَتْرابٍ حظايا
ثَنَيْنا السُّوءَ عن ذاك التَّثَنِّي ... وأَثْنينا على تلك الثَّنايا
كأَنَّ خدودَها أوراقُ نَدٍّ ... عليها من ندى طَلٍّ بقايا
وما خُلِقَتْ عيون العِيْن أنَّى ... نَظَرْتَ سوى ذهابٍ للبرايا
فمنها ما يتيحُ لكَ الأماني ... ومنها ما يبيحُ لك المنايا

---

(١) الربايا جمع، مفردها ربيئة، وهو الطليعة الذي ينظر للقوم لئلا يدهمهم عدو، ولا يكون إلا على جبل أو شرف ينظر منه. «اللسان» (ربأ).

(٢) القصيدة بتمامها في «ديوانه»: ٣/ ١٥٥٤-١٥٦٢ .

(٣) انظر ترجمته في «دمية القصر»: ١/ ١٢٠-١٢٩ ، وانظر «المنتظم»: ١٠/ ١٣٩ .

(٤) في (ح) استدرك هذا البيت في هامشها، ثم جاء في آخر الأبيات في (ع) و(ح).

وقال الأَرَّجاني: [من البسيط]

بعد الصَّباحِ الذي فارقتكُمْ فيه ... لم أَلْقَ للدَّهْرِ صُبْحاً في لياليهِ
قد كان أوَّلَ صُبْحٍ بعد عَهْدِكُمُ ... مضى ولم تكتحِلْ عيني بثانيه
فالدَّهْرُ بعدكُمُ ليلٌ ألابِسُهُ ... والعَيْشُ دونكُمُ هَمٌّ أقاسيه
قد كِدْتُ أختِمُ طَرْفي وَحْشَةً لكُمُ ... عن كلِّ خَلْقٍ من الدُّنيا أُلاقيه
قد صَوَّر الوَهْمُ[1] في عيني مثالَكُمُ ... من طُوْلِ ما أنا بالذِّكْرى أُراعيه
فكلُّ ناظرِ إنسانٍ أُقابِلُهُ ... أرى خيالَكُمُ من ناظري فيه
يلومني في هوى الأَحبابِ كلُّ فتى ... سَهْمُ الصَّبابةِ يرميني ويُصميه[2]
يَعيبني في الهوى بَغْياً ويَعْذُلني ... وإنَّما يبتليني من يُعافيه
أقِلَّ من عَذَلٍ تَلْقَى المشوقَ به ... فقَلْبُهُ بسهام اللَّوْم تَرْميه
دَعْ عنك قلبي فإنَّ الحُبَّ آمِرُهُ ... أضعافَ ما أنت بالتثريب[3] ناهيه[4]

أُنَر بنُ عبد الله معين الدِّين[5]

مملوك أتابك طُغْتِكِين، والي دمشق، وصاحبُ أمرها نيابةً عن أولاد طُغْتِكِين.

كان صالحاً، عادلاً، مُحْسناً، كافًّا للظُّلْم، مجتنباً للمآثم، محبًّا للعلماء والفقراء، أوقف أوقافاً كثيرة على أبواب البِرِّ، وبذل مجهودَه في حِفْظ بيت سَيِّده طُغْتِكِين، ولما

(١) في (ع) و(ح): الدهر، والمثبت من «الديوان».
(٢) في «الديوان»: يصميني ويخطيه.
(٣) في (ح): بالتأديب.
(٤) القصيدة بتمامها في «ديوانه»: ٣/١٥٠٨-١٥١٥.
(٥) أخباره مبثوثة في «تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٤٧٥، و«الاعتبار» لأسامة بن منقذ: ٢٨، ٥٣، ٦٦، ١٠٤ وغيرها، و«الكامل»: ١١/ ١٤٧، و«كتاب الروضتين»: ١/ ٢٢٢-٢٢٣، وله ترجمة في «سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٢٢٩-٢٣٠، و«العبر»: ٤/ ١٢١-١٢٢، و«الوافي بالوفيات»: ٩/ ٤١٠-٤١١، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٨٦، و«منادمة الأطلال»: ٢٠٤-٢٠٥، وقد أغفل ذكره ابن عساكر في تاريخه.
وأُنَر، بضم الهمزة وفتح النون، وآخرها راء، هكذا ضبطه المنذري في «التكملة لوفيات النقلة»: ٢/ ١٣١، وابن ناصر الدين في «توضيح المشتبه»، ١/ ١١٩، وضبطه الصفدي في «الوافي بالوفيات»: بفتح الهمزة وضم النون، وفي «النجوم الزاهرة»: ضبط ضبط قلم بضم الهمزة والنون، وقال محققه: كذا وجدته مضبوطاً بالقلم في هامش الأصل، أما في «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي، وفي ابن الأثير ضبط بالقلم بفتح النون.

ماتَ في ثالث عشر[١] ربيع الآخر شَرَع الأمير[٢] مجيرِ الدِّين أبق في الانحلال، [وآل أمره إلى الاضمحلالِ][٣].

قال أبو يعلى بن القلانسي: كان معين الدين بحوران في عساكر دمشق مقابل الفرنج يحفظُ البلادَ من غاراتهم، فَمَرِضَ بدوز نطاريا، وضَعُفَتْ قوَّته، وهو مع هذا يركب كلَّ يومٍ في العساكر يُرْعِبُ العدوَّ، فخِيْف عليه، فَحُمِلَ في مِحَفَّةٍ إلى دمشق، فزاد به المرض، فتوفي يوم الاثنين الثَّالث والعشرين من شهر ربيع الآخر، ودُفِنَ في إيوان الدَّار التي كان يسكنها، ثم نُقِلَ إلى المدرسة التي عَمَرَها. ولمَّا فُرِغَ من دَفْنه اجتمع حسام الدِّين بُلاق ومؤيَّد الدِّين الرَّئيس ومجاهد الدِّين بُزَان وأعيان الأجناد عند مجير الدِّين، واتَّفقوا على إصلاح الأحوال.

ونادى مجير الدِّين بإبطال المكوس وما يضرُّ الرَّعية، ثم استوحش مؤيَّد الدِّين بنُ الصُّوفي من مجير الدِّين، فجمع الغوغاء والأحداث، وأعطاهم السِّلاح، ورتَّبهم حول داره ودارِ أخيه زين الدَّوْلة حيدرة للاحتماء بهم، وذلك في شهر رجب، فراسلهما مجير الدِّين بما طيَّبَ قلوبهما، فما التفتا، وقصدا باب الحَبْس وكسراه، وأطلقا مَنْ كان فيه، واستنفرا العوام من أهل الشَّاغور وقَصر حَجَّاج وباب شَرْقي[٤]، فَعَزَمَ مجيرُ الدِّين على تفرقة السِّلاح في العساكر والخروج من القلعة لقتالهم، فأشار جماعةٌ بالتَّأني، وقالوا: نخافُ على البلد من النَّهْب والحريق. ووقعتِ المراسلاتُ، فاتفق الحالُ على أن يكون الرَّئيس مؤيَّد الدِّين ملازماً لداره، وأن يكون ولدُه وولدُ أخيه في الخِدْمة، فأقام، ثم أثار الفِتْنة، وجَمَعَ العوام والفلاحين، وزحفوا إلى القلعة، واقتتلوا إلى أن تقرَّر أنَّ مجير الدين يُبْعِدُ عنه من كره الرئيس مؤيد الدِّين، وعاد الرَّئيس إلى وِزارته على حاله.

---

(١) كذا في النسخ الخطية، وسيأتي نقلاً عن ابن القلانسي أنه توفي في الثالث والعشرين من ربيع الآخر، وهو الصواب.

(٢) في (ع) و(ح) أمر، والمثبت من (م) و(ش).

(٣) في (ح) إلى الاضمحلال، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) أحياء في دمشق ما زالت تحمل الأسماء نفسها.

وأُطْلِقَ أيدي النَّهَّابة في نَهْبِ دور السَّلاَّرية[١]، ثم سكنتِ الفتنة، واتَّفق الأمر أنَّ الرئيس لا يشاركه في التَّدْبير والوِزارة أحد.

ولما تقرَّر أمر دمشق كَتَبَ نورُ الدِّين إلى مجير الدين يَطْلُبُ منه ألفَ فارس تَصِلُ إليه مع مقدَّمٍ يُعَوَّلُ عليه لجهاد الفرنج، وأنَّه عازِمٌ على قصدهم. فغالطوه، وعَلِمَ قَصدَهم، فسار حتى نزل بمَرْج يَبُوس وبعض عساكره بيعفور، فراسل مجيرُ الدِّين الفرنج، واتَّفق معهم على نور الدِّين، وكانوا على عَسْقلان ويَعْمُرون غَزَّة، فجاؤوا إلى بانياس، وعَرَفَ نورُ الدِّين خبرهم، فلم يَحفِلْ بهم، ولا انثنى عن جهادهم، وهو محسنٌ إلى الرَّعايا، كافٌّ الجُنْدَ عن أذى الفلاحين، والدُّعاءُ له كثير، وكان الغيثُ قد مُنِعَ، فجاء سَيْلٌ عظيم ورويت البلاد، فقالوا: هذا ببركة حلول رِكاب نور الدين. ثُمَّ سار من يعفور، فنزل جسر الخشب[٢] في ذي الحِجَّة، وراسل مجيرَ الدِّين والرئيس يقول: ما قصدتُ بنزولِ هذا المنزل محاربتكم، ولا أنا طامعٌ في بلادكم، وإنما بلغني فعلُ الفرنج والعرب بأهل حوران من السَّبْي والقَتْلِ والنَّهْب وذَبْحِ الأطفال مع عدم النَّاصر لهم، وأنتم فلا دينَ لكم ولا مروءة، وقد واطأتم الفرنج عليَّ، وقد أوجب الله عليَّ وعليكم وعلى النَّاس كافَّة جهادَ الكُفَّار، فلا عُذْرَ لي عند الله تعالى، فإنَّ عندي المال والرجال، وأنتم فعاجزون عن الذَّبِّ عن المُسلمين، وما الذي دعاكم إلى الاستصراخ بالفرنج لمحاربتي، وبذلتم لهم أموال الضُّعفاء والمساكين من الرَّعية ظُلْماً وعُدْواناً، وهذا ما يرضي الله ولا المسلمين. فكان الجواب: مالكَ عندنا سوى السَّيف، وإنْ نازلتنا استدعينا الفرنج لدفعك عنا. فلما جاءته هذه الرِّسالة عَزَمَ على الزَّحْفِ إلى دمشق، ثم فكَّرَ في العاقبة، وحَقَنَ دماء المسلمين، وأرسل الله أمطاراً كثيرة، فأقامت أياماً، فتأخَّر عنها[٣].

---

(١) يعني السلار زين الدين حيدرة، وأخاه مؤيد الدين وأصحابهما، وانظر «سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٢٤٢-٢٤٣.

(٢) أي نواحي داريا.

(٣) «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٤٧٥-٤٨٠، وانظر «كتاب الروضتين»: ١/ ٢٢٣-٢٢٥ و٢٣٩-٢٤١.

سُلْطان بن علي بن مُقَلَّد[١]

ابن نَصر بن مُنْقِذ، أبو العساكر، صاحب شَيْزر.

ولد بطرابُلُس سنة أربعٍ وستين وأربع مئة، سمع من إبراهيم الحنفي[٢] «صحيح البخاري» بشَيْزر، وولي إمرتها بعد أخيه نَصر بن علي[٣]، وكان فاضلاً، وله أشعار كثيرة، فمن شعره يوصي بنيه: [من الكامل]

أُوصِيكُمُ بتُقَى الذي أعطاكُمُ ... مُلْكاً تَذِلُّ له الملوكُ وتَخْضَعُ

وبِحفْظِ بعضِكُمُ لبعضٍ ما غدا ... نجمٌ يغورُ بأُفْقِهِ أَوْ يَطْلُعُ

لا تُشْمِتُوا بكُمُ الوشاةَ وحاذِروا ... أقوالهمْ فَهْيَ السِّمامُ النُّقَّعُ[٤]

ما قَطَّعَ الأرحامَ جاهِلُكُمْ بما ... أبداه بل كَبِدِي بذاك يُقَطَّعُ

وإذا يَئِسْتُ من الصَّلاح لفِعْلِكُمْ ... أَمَّلْتُ[٥] أَصلَكُمُ الزَّكيَّ فأَطْمَعُ

فأبوكُمُ مَنْ ليس يُنْكَرُ أَنَّه النَّـ ... ـدْبُ الكَمِيُّ الأَلْمعيُّ الأَرْوَعُ[٦]

ذادَ الجيوشَ برأيه وبسَيْفه ... عن شَيْزَرٍ فتفرَّقوا وتصدَّعوا[٧]

وكانت وفاته بشيزر، وقيل: مات سنة ثلاثٍ وأربعين[٨].

---

(١) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر»: ٧/ ٣٨٧-٣٨٨ ، و«الوافي بالوفيات»: ١٥/ ٢٩٧-٢٩٨ ـ وذكر وفاته سنة (٥٥٢هـ) وقد ذكر بعض أخباره أسامة ابن منقذ في «الاعتبار»، وانظر «كتاب الروضتين»: ١/ ٣٥٣ ، و«كتاب أسامة ابن منقذ» لحسن عباس: ١/ ٣١-٤٧ .

(٢) هو إبراهيم بن عبد الرحمن بن جعفر التنوخي المعري أبو السمح، رحل إلى أصبهان، وسمع الحديث بها وبغيرها، وكان زاهداً، ورعاً، ديناً، وتوفي بشيزر سنة (٥٠٣هـ)، انظر ترجمته في «تاريخ ابن عساكر»: ٢/ ٤٥٦ ، و«الوافي بالوفيات»: ٦/ ٤٥-٤٦ ، و«الجواهر المضية»: ١/ ٨٧-٨٨ ، وفيه: إبراهيم بن عبد الله بن جعفر.

(٣) وذلك سنة (٤٩١هـ).

(٤) السِّمام جمع، مفردها سم، والنقع جمع كذلك، مفردها ناقع: سم ناقع أي بالغ قاتل.

(٥) في (ع) و(ح): مثلث، والمثبت من «تاريخ ابن عساكر».

(٦) الندب: الخفيف في الحاجة، والكمي: الشجاع المقدم الجرئ، والألمعي: الذكي المتوقد، والأروع من الرجال: الذي يعجبك حسنه.

(٧) الأبيات في «تاريخ ابن عساكر» مع اختلاف في ترتيبها.

(٨) وهو ما اعتمده ابن عساكر.

عبد المجيد ابن الأمير أبي القاسم[١]

ابن المستنصر، أبو الميمون.

الحافظ صاحب مِصر، ولم يكن في المصريين من أبوه غير خليفة سواه والعاضد.

ولي الحافظ سنة سبع[٢] وعشرين وخمس مئة، وكانت وفاته ليلة الأحد خامس جمادى الآخرة، فكانت أيامه تسع عشرة سنة وشهوراً وأياماً، وكانت وفاتُهُ بمرض الكبد.

وكان قد اخترع ألقاباً يُخْطَبُ له بها على المنابر، فكان الخطيبُ يقول: وأَصلِحْ من شَيَّدْتَ به الدِّين بعد دُثُوره، وأَعْزَزْتَ به الإسلامَ بأَنْ جعلته سبباً لظُهوره، مولانا وسيدَنا إمامَ العصر والزَّمان أبا الميمون عبد المجيد الحافظ لدين الله، صلى الله عليه وعلى آبائه الطَّاهرين، حُجَج الله على العالمين.

وسببُ هذا أَنَّه لما استولى عليه أبو علي أحمد بنُ الأفضل أميرُ الجيوش أسقط اسمَه من المنابر، وخطب للمنتظر المهدي، وأسقط من الآذان «حيَّ على خير العمل»، ودعا إلى نفسه على المنابر: بناصر إمام الحق، هادي العُصاة إلى اتِّباع الحق، مولى الأُمم[٣]، ومالك فضيلتي السَّيْف والقلم. ولم يزل كذلك حتى قُتِلَ ابنُ أميرِ الجيوش، فجدَّد الحافظ هذه الألقاب.

ووزَرَ له جماعةٌ فأساؤوا التَّدْبير، منهم: يانس أبو الفتح أمير الجيوش ومات، فوزر له ابنُه حسن، ثم وَزَرَ له بَهْرام النَّصراني[٤]، ثم تولى الحافظ الأمور بنفسه إلى أَنْ مات.

---

(١) له ترجمة في «الكامل»: ١٠/ ٦٦٤ ، ١١/ ١٤١-١٤٢ ، و«وفيات الأعيان»: ٣/ ٢٣٥-٢٣٧ ، و«سير أعلام النبلاء»: ١٥/ ١٩٩-٢٠٢ ، و«العبر» للذهبي: ٤/ ١٢٢ ، و«اتعاظ الحنفا»: ٣/ ١٣٧-١٩٢ ، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٣٧-٢٤٦ .

(٢) كذا في (ع) و(ح)، وفي (م) و(ش): ست وعشرين، وهو الصواب، وكان الحافظ قد بويع بعد مقتل الآمر سنة (٥٢٤هـ) ليدبر المملكة إلى أن يولد حمل للآمر إن ولد، وكان الغالب على أمره أبو علي بن الأفضل، ثم لما قتل سنة (٥٢٦هـ) جددت البيعة للحافظ، واستقل بالأمر، انظر ص٢٥٠ ، وقد ذكر فيها مقتل الأفضل في وفيات سنة (٥٢٧هـ)، وانظر «سير أعلام النبلاء»: ١٥/ ٢٠٠ .

(٣) في «اتعاظ الحنفا»: ٣/ ١٤٤ : «هادي القضاة إلى اتباع شرع الحق واعتماده.. مولي النعم ، رافع الجور عن الأمم...»، وانظر «النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٣٨ .

(٤) كذا قال، وهو وهم، إذ قد ولي بعده رضوان بن الوخشي، ولم يستوزر الحافظ أحداً بعد رضوان، انظر «اتعاظ الحنفا»: ٣/ ١٨٤ ، ١٨٩ .

ثم ولي بعده ولده أبو المنصور يوسف بن عبد المجيد، ولُقِّب بالظَّافر بالله، وأُمُّه أم ولد تدعى ست الوفاء، ولد في ذي الحِجَّة، وقيل في المحرَّم سنة سبع وعشرين [وخمس مئة] [١]، وقُتلَ ليلةَ الخميس سَلْخ المحرَّم سنة تسعٍ وأربعين، فكانت أيامُه أربعَ سنين وثمانية أشهر، وعمره ثماني عشرة سنة[٢]، وسنذكره إنْ شاء الله تعالى[٣].

وقال ابنُ القلانسي: وفي سنة أربع وأربعين وَرَدَ الخبر مِنْ مِصر بوفاة الحافظ بأمر الله في الخامس من جُمادى الآخرة، وولي من بعده ولده الأصغر أبو منصور إسماعيل ولقب بالظَّافر بالله ـ والمشهور يوسف[٤] ـ وولي الوِزارة أمير الجيوش أبو الفَتْح بن مَصَال المَغْربي، فأحسنَ السِّيرة وأَجْملَ السِّياسة، فاستقامتِ الأحوال، ثم حَدَثَ بعد ذلك من اضطراب الأمور، والخُلْف بين السُّودان والعساكر بحيثُ قُتِلَ من الفريقين العدد الكثير، وسكنَت الفِتْنة[٥].

عثمان بن محمد بن أحمد الرويدشتي[٦]

من شعره: [من السريع]

والشَّيْبُ لا تدفعُهُ حِيْلَةٌ ... كالظِّلِّ إنْ جانَبْتَهُ يَتْبَعِ
وطولُ عُمْرِ المَرْءِ أَدَّى إلى ... ما يُبْتلى بالحادثِ المُفْظِعِ[٧]
لو أَنَّ عَيْشي يُشْترى بعتُهُ ... لأَنَّه ضَرَّ ولم يَنْفَعِ

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) يعني حين بويع، وهذا القول على التجوز، وإلا فقد عاش اثنتين وعشرين سنة، فقد ذكر أن ولادته كانت سنة (٥٢٧هـ).

(٣) انظر ص ٤٥٠ من هذا الجزء.

(٤) سماه في صدر الخبر يوسف، وهو قول سبط ابن الجوزي، ولم يسمه هذا الاسم غيره، انظر «النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٨٨.

(٥) انظر «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٤٧٨.

(٦) له ترجمة في «الوافي بالوفيات»: ١٩/ ٥٠٩، وكان يعلم ببغداد أولاد الأكابر، وكان هاجياً مادحاً.

(٧) المفظع: الشديد الشنيع. «اللسان» (فظع).

عِياض بن موسى بن عياض[١]

أبو الفَضْل المَغْربي، قاضي سَبْتة، كان كبير الشان، غزير البيان[٢]، وله التَّصانيف الفاخرة، منها كتاب «الشِّفا بفضائل المصطفى»[٣] وغيره، وكانت وفاته بسَبْتة[٤]، وقيل: مات سنة ثلاث وأربعين، ومن شعره: [من السريع]

انظرْ إلى الزَّرْعِ وخاماتِهِ[٥] تحكي وقد هَبَّتْ عليها الرِّياحْ
كتيبةً خضراءَ مهزومةً شقائقُ النُّعمان فيها جِراحْ[٦]

وقال عليُّ بنُ هارون[٧] يمدحه: [من الكامل]

ظلموا عِياضاً وهو يحكُمُ عندهم[٨] والظُّلْم بين العالمينَ قديمُ
جعلوا مكانَ الرَّاءِ عَيْناً في اسْمِهِ كي يكتموه وإنَّه مَعْلُومُ
لولاه ما فاحتْ أباطحُ سَبْتَةٍ والرَّوْضُ بين فِنائها مَعدُومُ[٩]

---

(١) له ترجمة في «الصلة» لابن بشكوال: ٢/ ٤٥٣-٤٥٤ ، و«الخريدة»، قسم شعراء المغرب والأندلس: ٣/ ٥٠١-٥٠٥ ، و«بغية الملتمس»: ٤٣٧ ، و«إنباه الرواة»: ٢/ ٣٦٣-٣٦٤ ، و«المعجم في أصحاب أبي علي الصدفي» لابن الأبار: ٣٠٦-٣١٠ ، و«وفيات الأعيان»: ٣/ ٤٨٣-٤٨٥ ، و«الإحاطة في أخبار غرناطة»: ٢/ ٢٢٢-٢٣٠ ، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٢١٢-٢١٨ ، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) في (ع) طمست الترجمة في التصوير، وفي (ح): كان كثير البيان غزير اللسان، وهو تحريف، والصواب ما هو مثبت، وقد استفدناه من «الخريدة»: ٣/ ٥٠١ .

(٣) هو كتاب مشهور مطبوع متداول، وقد قال فيه الإمام الذهبي في «السير»: ٢٠/ ٢١٦ : وتواليفه نفيسة، وأجلها وأشرفها كتاب «الشفا» لولا ما حشاه بالأحاديث المفتعلة عَمَلَ إمام لا نقد له في متن الحديث ولا ذوق.. وكذا فيه من التأويلات البعيدة ألوان، ونبينا صلوات الله عليه وسلامه غني بمدحة التنزيل عن الأحاديث، وبما تواتر من الأخبار عن الآحاد، وبالآحاد النظيفة الأسانيد عن الواهيات.

(٤) كذا قال، وهو وهم، والصواب أنه توفي بمراكش، دفن فيها كما ذكرت مصادر ترجمته، وقال العماد في «الخريدة»: إنه توفي بفاس.

(٥) الخامة: الغصنة الرطبة من النبات. «اللسان» (خوم).

(٦) البيتان في «الخريدة»: ٣/ ٥٠٣ .

(٧) هو أبو الحسن الشنتمري، له ترجمة في «الذخيرة»لابن بسام: ق٢/ مج٢/ ٦٣٧-٦٣٩ ، و«الخريدة» قسم شعراء المغرب والأندلس: ٣/ ٥٧٢-٥٧٤ ، و«المغرب في حلى المغرب»: ١/ ٣٩٥-٣٩٦ .

(٨) في «وفيات الأعيان»: وهو يحلم عنهم.

(٩) الأبيات في «الخريدة» قسم شعراء المغرب والأندلس: ٣/ ٥٧٣ ، و«وفيات الأعيان»: ٣/ ٤٨٤-٤٨٥ .

عيسى بن هبة الله بن عيسى[١]

أبو عبد الله البغدادي.

ولد سنة سبع وخمسين وأربع مئة، وكان لطيفاً ظريفاً.

قال الشيخ أبو الفرج: كان يحضرُ مجلسي، فانقطع، فكتبتُ إليه رقعةً فيها نوعُ احترامٍ، فكتبَ إليَّ: [من مخلع البسيط]

قد زِدْتني في الخِطابِ حتى ... خشيتُ نَقْصاً من الزِّيادَهْ
فاجْعَلْ خِطابي خطابَ مِثْلي ... ولا تُغيِّرْ عليَّ عادَهْ[٢]

وقال: [من المتقارب]

إذا وَجَد الشيخُ في نَفْسِهِ ... نشاطاً فذلكَ موتٌ خفي
ألستَ ترى أنَّ ضوءَ السِّراجِ ... لهُ لَهَبٌ قَبْلَ أنْ يَنْطَفي[٣]

وقال: [من الكامل]

يا من تبدَّلَ بي وأَمْكَنَهُ ... ما لي وحَقِّكَ عنكَ مِنْ بَدَلِ
إن كنتَ حُلْتَ فإنَّني رَجُلٌ ... عن عَهْدِ وِدِّكَ قَطُّ لم أَحُلِ
لَهْفي على طَمَعٍ أُصِبْتُ به ... في عُنْفُوانِ شبيبةِ الأَمَلِ[٤]

وكانت وفاته في جُمادى الأولى، ودفن بباب حَرْب، وكان من محاسن الزَّمان، خفيفَ الرُّوح، كثيرَ النَّوادر، رقيقَ الشِّعْر، عاشَرَ النَّاسَ، وتخلَّق بأخلاقِ الكرام.

غازي بن زَنْكي بن آق سُنْقُر[٥]

سيف الدين صاحب المَوْصل، [أخو نور الدين، وكان][٦] أكبر أولاد زَنْكي.

---

(١) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ج٣/م١/٤٨-٥١، و«المنتظم»: ١٠/ ١٤١، و«عيون الأنباء في طبقات الأطباء» ترجمه ابنه مهذب الدين علي: ٦٣٥، و«فوات الوفيات»: ٣/ ١٦٥-١٦٦.

(٢) «المنتظم»: ١٠/ ١٤١.

(٣) البيتان في «الخريدة» و«المنتظم».

(٤) الأبيات في «المنتظم».

(٥) أخباره في «الكامل»: ١١/ ١٣٨-١٣٩، و«الباهر»: ٨٤-٩٤، و«كتاب الروضتين»: ١/ ٢٢٧-٢٣٠، و«وفيات الأعيان»: ٤/ ٣-٤، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ١٩٢-١٩٣، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٦) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

لما عاد من الشَّام نزل على دارا فملكها، وحاصر مارِدِين، وفيها حسام الدين تمرتاش، فراسله واصطلحا، وزوَّجه ابنته الخاتون بنت تمرتاش، وعاد إلى الموصل مريضاً بعِلَّة القولنج، وكان يعتريه كثيراً، وحُمِلَتْ إليه الخاتون وقد اشتدَّ مرضه، فمات سَلْخ جُمادى الآخرة،ولم يدخل بها، وعاش أربعاً وخمسين سنة [لأنه ولد سنة تسعين وأربع مئة][(١)]، وقيل: [عاش][(١)] أربعاً وأربعين سنة [وأنه ولد سنة خمس مئةٍ][(١)] وأقام والياً ثلاث سنين وشهوراً.

وكان شجاعاً جَوَاداً، حازماً، حَسَنَ السِّيرة والعِشْرة والصُّورة، وهو أوَّلُ من حُمِلَ السَّنْجق[(٢)] على رأسه من الأتابكية، ولم يحمله أحدٌ قبله لأجل [السلاطين][(١)] السلجوقية، وآثاره بالمَوْصل باقية، منها مدرسة الأتابكية، وَقَفَها على الحنفية والشَّافعية، ودفن بها [والرِّباط للصُّوفية، ووقف الوقوف][(١)] ومدحه الحَيْص بيص[(٣)]، وغيره. ولم يترك إلاَّ ولداً ذكراً: فأخذه محمود أخوه، فربَّاه، وزوَّجه بابنة عَمِّه قُطْب الدِّين، فمات وهو شاب، وانقرضَ عقبه.

ولما مات سيف الدين كان أخوه قطب الدين بالموصل، فاتَّفق جمالُ الدِّين الوزير وزين الدِّين عليّ على توليته؛ لأَنَّه كان ليِّنَ الجانب، حَسَنَ الأخلاق، حليماً، كريمَ الطِّباع، فحلَّفوه وملّكوه، وتزوَّج خاتون بنت صاحب ماردين التي لم يدخل بها [أخوه][(١)] سيفُ الدِّين، فأولاده الذين ملكوا المَوْصِل منها خاصة[(٤)]، وكانت [يحلُّ لها أن تضع] [(٥)] خمارها عند خمسة عشرة ملكاً من آبائها [وأجدادها][(١)] وأخوتها [وبني أخوتها][(١)] وأولادهم وأولادها، فقد ضاهت عاتكة بنت يزيد بن معاوية وفاطمة بنت عبد الملك [بن مروان، وقد ذكرناهما][(١)]، وكذا في المتأخرات ربيعة خاتون بنت

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) السنجق: لفظ تركي معناه الرمح، والمراد هنا العلم الذي هو الراية، إلا أنه لما كانت الراية إنما تجعل في أعلى الرمح عُبِّر بالرمح نفسه عنها، وحامله يسمى السنجقدار، انظر «صبح الأعشى»: ٥/ ٤٥٨ .

(٣) في قصيدته التي مطلعها:

إلام يـراك الـمـجـد فـي زي شـاعـر ... وقـد نـحـلـت شـوقـاً فـروعُ الـمـنـابِرِ

وهي في «ديوانه»: ٢/ ٣١٦-٣٢٢ .

(٤) في (م) و(ش): من خاتون هذه، ولم يملكها أحد من أولاد قطب الدين من غيرها، وهذه خاتون كانت..

(٥) في النسخ الخطية: تحمل، والمثبت من «الباهر» لابن الأثير: ٩٤ .

[أيوب][1] أخت صلاح الدين [والعادل، وهي أعظم من غيرها في كثرة المحارم، وسنذكرها في سنة إحدى وأربعين وستٍّ مئة][1].

ولما ملك قُطْب الدِّين المَوْصِل كان أخوه نور الدين بحلب، وكان عبد الملك بن المُقَدَّم في سِنْجار، ومعه ولده شمس الدِّين محمد، فكاتبه نور الدين وهو دُزْدار[2] في سِنْجار، فأجابه محمد، وكان أبوه عبد الملك من أمراء الدَّولة، وقيل: إنَّ محمداً كان بسنجار وعبد الملك بالمَوْصِل، فسار نور الدِّين من حلب في سبعين فارساً جريدةً، فسلَّم إليه محمدُ بنُ المقدَّم سنجار، وجاءته كُتُبُ الأمراء من المَوْصِل، وبلغ الخبر قطب الدين ، فخرج من المَوْصل بالعساكر ومعه زين الدِّين وجمالُ الدِّين الوزير، فنزلوا تل أَعْفر[3]، وراسلوا نورَ الدِّين ينكرون عليه، فقال: أنا أكبر الأولاد، وأحقُّ منكم بالبلاد، وما جئتُ حتى كاتبني أُمراؤكم يذكرون كراهتهم لكم، فخِفْتُ أن يحملهم بُغْضهم لكم على إخراج البلادِ من أيدينا، ولا أقاتلكم إلا بمن معكم، ولهذا جئتكم جريدةً. وهربَ إليه أعيانُ العَسْكر، فقال لهم الوزير: يا قُطْبَ الدِّين ويا زين الدِّين نحن نُظْهر للخليفة والسُّلْطان أننا تَبَعٌ لنورِ الدِّين، ونورُ الدين يُظْهر للفرنج أنه تبعٌ لنا، ويهدِّدهم بنا، فإن كاشفناه، وظهر علينا طَمِعَ فينا الخليفةُ والسُّلْطان، وإن ظهرنا عليه طَمِعَ فيه الفرنج، ولنا بالشَّام حِمْص وهي بعيدةٌ عنا، ونحتاج إلى حِفْظها من العدو، والمصلحة أن نعطيه إياها ونأخذ منه سنجار، فقالا له: اخرجْ إليه ودبِّرْ معه هذا. فجاء الوزيرُ إلى نور الدِّين، وقرَّر معه الصُّلْح، فرضي وقال للوزير: أريد أن تكون عندي. فقال له: فيك من الكفاية والنَّهْضة ما لا تحتاج معه إلى وزير، وليس لك من الأعادي مثل ما لأخيك، فإنَّ أعداءه مسلمين، فيحتاج إلى من يقوم بأمره ويدفعهم، وأنتَ عدوك كافر، فالنَّاس يدفعونه دِيانةً، ومتى كنتُ عند أخيك فنفعه عائدٌ إليك. فجعل له نورُ الدِّين في كلِّ سنة إقطاعاً بعشرة آلاف دينار، وكان الوزير يشتري بها أسارى من المسلمين في كلِّ سنة، فَيُطْلقهم، ولا يأخذ منها شيئاً.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) أي مالك القلعة، انظر «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية»: ص١٨١ .

(٣) تل أعفر: قلعة وربض بين سنجار والموصل في وسط وادٍ فيه نهر جارٍ، وهي على جبل منفرد حصينة محكمة. «معجم البلدان»: ٢/ ٣٩ .

وعاد نور الدين إلى الشَّام، وقطب الدين والوزير إلى المَوْصِل، واتَّحدتِ الكلمة.

المحسن بن أحمد بن الحسين القائد[١]

أبو العلاء الحِمْصي.

ومن شعره: [من المتقارب]

دعا مُهْجتي رَهْنَ أَوْصابها ... وحِلْف هواها وأطرابِها
وكُفَّا فلي عنكما شاغِلٌ ... بتسهيدِ عَيْني وتَسْكابِها
فيا ليَ من ظَبْيةٍ بالحِمى ... تَتِيْهُ بإفراطِ إعجابِها
مُقَسَّمة الحُسْن بين القناع ... وبين اللِّثام وجلْبابها
فَبَدْرُ الدُّجى فوق أَطْواقها ... وحِقْفُ النَّقا تحت[٢] أثوابها

نَظَر الخادم[٣]

أمير الحاج بالعراق، حَجَّ نيفاً وعشرين سنة أميراً، كان قد خرج في هذه السنة، فلما وصل الكوفة مَرِضَ، فاستناب قيماز الأُرْجُواني، ورجع إلى بغداد فتوفي، وحمل إلى الرُّصافة، فدفن بها.

[وجرى على الحاج بعده شدائد بين مكة والمدينة، نذكرها.

سمع الحديث من أبي الخَطَّاب بن البَطِر وغيره. وقال جدِّي رحمه الله: خرجت معه في سنة إحدى وأربعين وخمس مئة حاجّاً، ومعي شيء من سماعاته لأقرأه عليه بمكة والمدينة، فلما رأيتُ ظُلْمه وطرحه على الحمَّالين لم أكلمه، ولم أقرأ عليه شيئاً][٤].

---

(١) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ١/ ٤٠٢-٤٠٥ ، و«الوافي بالوفيات»: ٢٥/ ١٧٥-١٧٦ ، ووفاته في «الخريدة» سنة (٥٤٣هـ).

(٢) في (ع) و(ح): فوق، والمثبت من «الخريدة» و«الوافي»، وفي «الوافي»: خفق، وهو خطأ.

(٣) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ١٤١-١٤٢ ، وقد سلفت أخباره على السنين.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «المنتظم»: ١٠/ ١٤١ .